DOI:10.52113/uj05/023-16/1853-1868 ISSN : 2072-6317(P) - 2572-5440(O)

جامعة المثنى / كلية التربية للعلوم الانسانية

مجلة اوروك للعلوم الانسانية

موقع المجلة : www.muthuruk.mu.edu.iq

اصول الشعر العربي لمرجليوث عرض ونقد

محمد فليح الجبوري *

جامعة المثنى / كلية التربية للعلوم الانسانية

معلومات المقالة

تاريخ المقالة :

تاريخ الاستلام: 2023/7/9

تاريخ التعديل : 2023/8/1

قبـول النشـر: 2023/8/2

متوفر على النت: 2023/9/28

الكلمات المفتاحية :

اصول، الشعر العربي، مرجليوث، عرض، نقد

الملخص

سجل المستشرق الانكليزي ديفيد صمويل مرجليوث حضوراً كبيراً في النقد العربي الحديث ولاسيما بعد صدور مقاله (اصول الشعر العربي) المنشور في المجلة الاسيوية في عام 1925، والذي تناول فيه جاهلية الشعر الجاهلي، ولاقى هذا المقال اهتماماً كبيراً من لدن النقاد العرب، ومن أبرزهم طه حسين الذي تبنى أفكار مرجليوث وعمل على تطويرها وتعزيزها بشواهد وموضوعات أخرى في كتاب أصدره بعد عام من نشر المقال، وجاء هذا الكتاب تحت عنوان (في الشعر الجاهلي).

في وقفتنا النقدية هذه والموسومة بـ(اصول الشعر العربي لمرجليوث عرض ونقد) نستعرض مقال مرجليوث من خلال قراءة ناقدة وموضوعية لرد ما كان متحاملاً، وتوضيح ما كان ملتبساً، فضلا عما كان يمثل وجهات نظر قابلة للرد.

قام البحث على مبحثين استعرضنا في الأول قصدية الكاتب والموضوعات التي عرضها، وفي الثاني حاولنا رد بعض ما ورد في المقال متوخين الموضوعية والقراءة النقدية الواعية، لينتهي البحث إلى جملة من النتائج من أهمها:

- إن الأدلة والشواهد التي اعتمدها مرجليوث في تعزيز وجهات نظره كانت حقيقية لوجود مصاديقها في المصادر العربية القديمة.
- حاول الناقد اقناع المتلقي بأساليب مختلفة، موظفاً البراهين والشواهد التي استقاها من الشعر الجاهلي نفسه، فهو يحاول هدم هذا الشعر من خلال الشعر نفسه.
- عمد مرجليوث إلى الروايات الضعيفة، وإلى الرواة المشكوك في مصداقيتهم، لتعزيز وجهات نظره.
- إن الشك في عائدية بعض هذا الشعر الذي نسميه الشعر الجاهلي أمر مشروع ، إلا أن الأمر غير المشروع أن ننفي كل هذا الشعر عن ذلك العصر.

©جميع الحقوق محفوظة لدى جامعة المثنى 2023

المقدمـة:

على الرغم من بُعد العصر الجاهلي إلا ان شعره ما زال يحظى باهتمام النقاد والباحثين ومنهم المستشرقين، ولعل من الاسماء اللامعة التي سجلت حضورا كبيرا في النقد العربي الحديث هو ديفيد صمويل مرجليوث ولاسيما في مقاله المنشور في المجلة الاسيوية في عام 1925 وتحت عنوان (اصول الشعر العربي) والذي تناول فيه جاهلية الشعر الجاهلي، فعرض ادلته الخارجية والداخلية بشيء من التفصيل، ولقد لاقى هذا البحث اهتماماً كبيرا من النقاد وكان ابرزهم هو طه حسين الذي تبنى افكار مرجليوث وعمل على تطويرها وتعزيزها بشواهد وموضوعات اخرى في كتاب اصدره بعد عام من نشر المقال جاء تحت عنوان(في الشعر الجاهلي)، وعلى أثر ذلك انتفض النقاد والباحثون ورجال الدين العرب على هذا الكتاب والذي اعتبروه صدى لما قاله مارجليوث واساءة للشعر العربي والنص المقدس،

*الناشر الرئيسي : E-mail : Kmf19682005@mu,edu,iq

فأُجبر طه حسين على اعادة نشره في عام 1928تحت عنوان (في الادب الجاهلي).

في هذه الوقفة النقدية الموسومة بـ(اصول الشعر العربي لمرجليوث عرض ونقد) استعرضنا بشيء من الدقة مقال مرجليوث، وحاولنا قراءة حججه قراءة ناقدة، ورد ما وجد فيها من تحامل، وتوضيح ما التبس منها من خلال استحضار النصوص النقدية، فضلا عن وجهات نظرنا فيها.

قام البحث على موضعين تناولنا في الأول المقال نفسه موضحين قصدية الكاتب والموضوعات التي عرضها، وفي الثاني حاورنا نقدياً بعض ما ورد في المقال بشيء من الموضوعية والقراءة الواعية، ثم انتهى البحث ببعض النتائج التي نراها هامة وفيها شيء من الجدة.

اعتمد البحث على مصادر اعتنت بالشعر الجاهلي فضلا عن نص المقال بترجمتين الأولى للدكتور يحيى الجبوري والأخرى للدكتور إبراهيم عوض.

المبحث الأول : (أصول الشعر العربي) العرض

تُعدُّ هذه المقالة من أهم مقالات مرجليوث وأكثرها حضورا في النقد العربي الحديث؛ وذلك أبان الثلث الأول من القرن العشرين؛ لكونها الباعث الأساس الذي شجع طه حسين على تأليف كتابه (في الشعر الجاهلي) بل يظن البعض أن كتاب طه حسين هو سطو على مقالة مرجليوث، وكتابه لا يعدو على أن يكون حاشية لهذا المقال[1]، حتى وسمه بعض النقاد بأنه: (حاشية طه حسين على متن مرجليوث).[2]

ونظن أن هذه المقالة اسهمت إلى حد بعيد في ذيوع شهرته في النقد العربي الحديث، ومضمونها يتناول حقيقة الشعر الجاهلي من حيث الصحة والوجود والتأليف بحسب وجهة نظر المؤلف.

في مطلع مقالته يقر مرجليوث بوجود الشعراء في الجزيرة العربية قبل ظهور الإسلام، مستدلاً بورود ذكرهم في القرآن الكريم، ويستنتج من خلال الفهم العام لطبيعة ماهية عملية نظم الشعر لدى الشاعر آنذاك (أن الشعراء كانوا يتنبؤون بالغيب)[3]، وإلا ما وجه اتهام المشركين للرسول عليه السلام على أنه شاعر أو كاهن أو مجنون؟، ثم يسرد بعض الآيات التي تنفي الشعر عن الرسول (صلى الله عليه وعلى آله وسلم)، ليستنتج أن(الشعر كان غامضاً)[4] وأن الشعراء كان لهم ملهمون من الجن، وأن هؤلاء كانوا يسترقون السمع في السماء، ثم يقف عند لغز وصفه بالمحير وهو (أن محمدا الذي لم يكن مطلعاً على فن الشعر، كان عارفاً ما يوحى إليه ليس شعرا، في حين أن المكيين الذين في أكبر الظن يعرفون الشعر عندما يسمعونه أو يرونه كانوا يتفكرون في ذلك)[5]، ويستنتج أن الشاعر كان أعرف بمادة أفكاره أكثر من صياغة كلامه فالخلاف في طبيعة المادة، ثم يقف عند الشعراء قليلا ليتناول قضية النقوش وما يُكتب عليها من شعر، ويرى أن النقوش العربية يتضح فيها الوزن والقافية وأنه من غير الصواب أن نخمن أن العرب ليس لديهم فكرة عن الوزن والقافية.[6] ويستنتج مرجليوث من النصوص القرآنية التي استشهد بها أنه (كان لدى العرب عرافون (كهان) قبل ظهور الإسلام يعرفون بكونهم شعراء)[7] ويرى أنه من المحتمل أن تكون لغتهم غامضة ويذهب إلى أن الشعر العربي في بدايته كان بعيدا عن الوضوح، وأن هؤلاء أوردوا نصوصا تعود لآدم وإسماعيل.[8] ثم يتحدث عن دور الشاعر في تسجيل مفاخر قبيلته، ويرى أن الرواة المسلمين الذين بدأوا التدوين زعموا أنهم سجلوا منه كماً كبيراً.

أما أولية الشعر الجاهلي فيتحدث عنها بكونها نمطاً متكاملاً، مُحددا مفهوم القصيدة الطويلة على أنها تلك التي تكون أكثر من عشرين بيتاً، مستدلاً على ذلك بذكر بعض شعراء الجاهلية منهم البراق والأغلب والمهلهل والعجاج بوصفهم من نظم هذا النوع من القصائد، ثم يذهب إلى أن امرأ القيس هو أول من طول القصائد، والأعشى أول من سأل في شعره وقبله عبيد على نطاق أقل.[9]

DOI:10.52113/uj05/023-16/1853-1868

وصول الشعر الجاهلي وحفظه

يذهب مرجليوث إلى أن هنالك عددا كبيرا من المجلدات التي حوت الشعر الجاهلي ولشعراء كثيرين جداً، وهذا الكم من المجلدات يدل على أن (هذه القصائد بطبيعتها على معرفة بالكتابة، وغالبا ما يشير كُتابها إلى عرب الجاهلية الذين استعملوا لهجة القرآن)[10] ثم يتساءل قائلا: (لنفترض أن هذا الأدب حقيقي فكيف حُفظ ؟ فلا بد أن يكون قد حفظ أما عن طريق الرواية الشفوية وأما عن طريق الكتابة، والرأي الأول هو الرأي المفضل بالنسبة للمؤلفين العرب) [11] ، ولرد الرأي الأول، ويذهب إلى أن الخليفة الثاني أكد إهمال رواية الشعر للأيام الأولى من الإسلام وأيام الفتوح، وعندما عاد السلم عاد المسلمون إلى رواية الشعر، هذا الكلام من المفارقات التاريخية - حسب مرجليوث -(لأن زمن الاستقرار لم يأت حتى أول الحكم الأموي) [12] وأنه من غير المعقول (أن الذين عاشوا من الحفاظ قلة، وإلا ماذا يعني كل هذا الركام من المجلدات)[13] . ويرى أن هذا الأمر يقوده إلى تقرير أن هناك أشخاصاً كان عملهم ووظيفتهم حفظ الشعر في ذاكرتهم. ولتعضيد رأيه يذهب إلى أن القرآن هاجم الشعراء بلهجة قاسية ومزرية بقصد توحيد العرب ونبذ التعصب القبلي، وهذا سبب قوي لنسيان الشعر الجاهلي ولاسيما أن في الشعر ما يدعو إلى الخلاف والفرقة؛ لما فيه ما يُثير الشحناء والعصبية بين المسلمين، ليصل إلى نتيجة مفادها أن (هذه القصائد ما لم يعمد إلى كتابتها فهي معرضة للنسيان).[14]

أما الاحتمال الآخر لحفظ الشعر الجاهلي فهو الكتابة، ولهذا الاحتمال يورد مصاديق من جملتها:

- أن الكتابة عمل مربح لتكثير نسخ القصائد.
- ورود إشارات كثيرة تدل على الكتابة.
- ورود بعض الروايات التي تدل على أن العرب كتبت إشعارها على عصب النخيل.
- ووجود نقوش حميرية كتبت بنثر مسجوع.
- قصة الشاعر الجاهلي لقيط الذي كتب رسالة يحذر قومه من أحد ملوك الفرس.[15]

كل هذه المصاديق استدل بها مرجليوث على أن الكتابة كانت متوافرة في العصر الجاهلي، وأن هذا الشعر وصل مكتوباً.

زمن كتابة الشعر الجاهلي

يذهب مرجليوث إلى أن الشعر كُتب بعد القرآن مستشهدا بالنص المقدس ولاسيما فيما يخص سؤال القرآن حول وجود كتاب (أَمْ لَكُمْ كِتَابٌ فِيهِ تَدْرُسُونَ)[16]، ثم يتنقل إلى قضية وجود النذير قبل الرسول عليه السلام معتمدا على قوله تعالى(...لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ) (17) ثم يناقش قضية وجود الكتاب، ويرى أن لا وجود لكتاب في العصر الجاهلي، ولو كان موجودا لكانت عند الجاهلين كتب كثيرة لا يستطيع القرآن إنكارها، ولكانت إجابته بالإيجاب، فـ(عملية الازدهار الأدبي طبيعية وقد تكون ثابتة غير متغيرة تنمو من الشذوذ إلى الانتظام)[18]، ويريد بالشذوذ الصياغة على غير انتظام، وكأنه يريد القول: إن النص القرآني لا يقوم على نظام واحد ولا يسير على وتيرة واحدة كالشعر الذي جاء منتظماً، ليصل إلى نتيجة مفادها إن النص الذي يأتي بعده لا بد أن يكون منتظماً كالشعر كونه مرحلة ثانية من تطور النظم.

ثم يعرض لقضية وجود التوحيد أو وجود النذير قبل النبي عليه السلام، ويرى أن ورقة بن نوفل كان داعية ومبشراً بعبادة الله وله قصيدة في هذا الامر، وهذا يعني بحسب مارجليوث ان قريشاً كان فيها نذير قبل النبي، ليصل إلى نتيجة مفادها أن ما ورد في (القصيدة يتناقض القرآن من أن المكيين لم يكن لهم منذر قبل محمد).[19]

أما الكتابة الجنوبية التي كانت شائعة عند أهل اليمن يبين مارجليوث أن هذه الكتابة لا تتلاءم وطبيعة الشعر العربي.[20]

وبعد هذا العرض يشرع بذكر بعض الروايات التي تدل على كتابة الشعر الجاهلي في أسفار وحفظه في أماكن بعيدة، مستدلا بتصريح القاضي أبو يوسف بعدم وجوب العقاب على

DOI:10.52113/uj05/023-16/1853-1868

السرقات الخاصة بالقرآن والصحف التي فيها أشعار، وكذلك ما فعله المهدي وأمره بجمع بعض الشعر الجاهلي ثم جاء أبو تمام وجمع الجماعة من أصول مكتوبة وهي أوثق نصوص مكتوبة([21])، ثم يقف عند حماد الرواية وموقفه أمام المهدي وخصمه المفضل الظبي ليستدل بهذه الحادثة على فساد رواية حماد ووثاقة رواية المفضل، ويستطرد في ذكر الحوادث أو الأخبار التي تذكر مغامرات حماد في نحل الشعر وإضافته إلى الجاهليين. ثم يذكر راوية آخر من الكوفة أيضا وهو جناد وعنده يشبه حماد في كثرة الرواية لكنه كان قليل العلم. ثم ينتقل لرواة البصرة ومنهم خلف الأحمر وأبي عمر بن علاء والأصمعي.... وكان خلف الأحمر أستاذهم. ويرى أن في روايته سوء واساءة باعترافه في نهاية حياته، ويؤاخذ على الأصمعي قبوله رواية كيسان، ويعول كثيرا على رواية أبي عمر والشيباني وصندوقه الخفيف الذي أودع فيه الأشعار الصحيحة، ويرى أن الأحكام التي كانت تصدر عن هؤلاء الرواة على بعضهم لم تكن عادلة ولا منصفة وهذا دليل فسقهم وعدم صدقهم([22])، ثم يقف على رواية العلماء للدلالة على الألفاظ والتراكيب ثم مراحل شكه بشعر هذيل وشعر المجنون ودور المتلقين وأصحاب السير في تلفيق الشعر الذي يدل على حياة النبي أو اختلاق قصة ما تنسب إلى شخصه معروفة.

ويذكر حوادث متفرقة من التاريخ الأدبي التي فيها ما يوحي بوجود الانتحال:

- منها قصة جعفر بن الزبير الذي انشد لهم شعرا يعود للجاهليين.

- تشجيع الخلفاء للرواة فكانوا يجزلوا لهم العطاء، وهذا ما فعله المهدي مع حماد والمفضل، وكذلك ما فعله الرشيد أيضا حين طلب من الحاضرين ان ينشدوا شعراء للأسود بن يعفر، وهذا دافع قوي لنحل الشعر وإضافته لهؤلاء الشعراء.([23])

يرى مرجليوث (إن ظهور محمد كان حدثاً هائلا في الجزيرة العربية، كان انقطاعا عن الماضي)([24]) ويرى أن الاسلام وقف موقفا معادياً من عبادة الاوثان، وإذا كان الشعراء حفظوا تلك الاشعار في ذاكرتهم ثم نقلوها إلى الآخرين، فما هو موقف الاسلام منهم ولاسيما أنهم كانوا الناطقين باسم الوثنية؟ فكان الواجب طمرها في الحملة الإسلامية الأولى.([25])

إن ما تقدم من الآراء ووجهات النظر التي سطرها مارجليوث في بحثه كانت تمثل الأدلة الخارجية لشكوكه في نسبة الشعر الجاهلي لعصر ما قبل الاسلام.

اما الأدلة الداخلية التي استنبطها مرجليوث من النص الشعري العربي الجاهلي فتتمثل بالاتي:

- ان الشعر الجاهلي لا يمثل الديانة الوثنية التي كان يدين بها الجاهليون فـ(جو الشرك في مدونات الشعر الجاهلي كان وبكل بساطة غائبا)([26]) وهذا السبب -بحسب مرجليوث - هو الذي جعل الأب لويس شيخو في كتابه (شعراء النصرانية) بجعل الشعراء كلهم نصارى. ثم يذكر بعض الشعراء مثل الاعشى الذي كان يذكر في شعره عبادة المصلين وعبادة الاوثان ومن ثم فان هؤلاء الشعراء النصارى لم يرد في شعرهم ذكر للكتب والتقاليد النصرانية. ويرى أن الشعراء الجاهليين كانوا لا يقسمون إلا بالله، ويؤمنون بان الله وحده من يبسط الدنيا ويقبضها وان سائل الله لا يخيب كما يخيب من سأل الناس.([27])

ويصل مرجليوث إلى نتيجة (ان الدين الوحيد الذي يؤمن به هؤلاء الشعراء الجاهليون هو الاسلام فقط)([28])، ويرى ان العرب الجاهلين قد عرفوا الله بشكل دقيق، ولاسيما قصة النبي نوح عليه السلام فـ(القرآن كان المرجع الوحيد لهذه المعرفة)([29]) ويذكر شواهد لشعراء جاهلين منهم عبيد بن الابرص والنابغة وزهير وعنترة بن شداد، وهو في هذا يقارن بين حال المشركين وهو يستقبلون القرآن في بداية الدعوة ولاسيما مصطلح (الحياة الدنيا) التي تأتي بمعنى (العالم) وهو استقبال يوحي بالدهشة

DOI:10.52113/uj05/023-16/1853-1868

والاستهزاء، في حين أن هذا الدين عند الشعراء الجاهليين كان مسلما به يدين به معظم هؤلاء الشعراء، ثم يعزز كل ما تقدم بشواهد شعرية ونصوص قرآنية ونصوص تفسيرية.(30) ثم يطيل الوقوف عند أمية بن ابي الصلت في هذا الموضع وفي غيره، فيعرض لهذا الشاعر وللخنساء وحاتم الطائي بعض الالفاظ التي وردت في شعرهم . ويرى ايضاً ان الاله في الشعر هو واحد وهو الله، في حين الرب عند المجتمع العربي مختلف ومتعدد، ثم يتساءل عن اختلاف الشعراء في ايمانهم عن العرب في اعتقادهم وهو يعيشون في المدة نفسها.(31)

- الدليل اللغوي، يرى مارجليوث (أن القصائد التي وصلتنا جاءت بلهجة القرآن)(32) وثمة افتراق بين لغة النقوش وبين اللغة العامة التي وصل بها الشعر الجاهلي، بل ان النقوش نفسها جاءت بلغات متغايرة، وان كان بعضها قريباً من زمن النبي عليه السلام، ويرى ايضا أن الرواة نقلوا لنا شعرا لملوك حضرموت بلهجة القرآن لا بلهجة حمير التي كانت سائدة(33)، ويرى ان هذا الشعر يناقض مضمونه لغته، وان الرواة عندما عملوا مصنفاتهم فان لغة القرآن اصبحت شائعة، وهي تمثل الفصحى في الجنوب، وإلا لا وجود لدليل يقود إلى افتراض ان اللغة العربية كانت لغة ادبية، وعليه فان عمل الرواة كان ترجمة او نقلا من طور لغوي إلى آخر، وهذا النقل جعلهم يدخلون تغيرات في الاملاء وفي عملية التدريس، ثم ينفي هذه الفرضية بل يجعلها مستحيلة لأنه يرى ان هذا الشعر قد اعتمد على الصحف فاختلاقها يعني اعادة صياغتها وفقا للغة السائدة وقت الجمع، وهذا يعني أن العرب قد ادارت ظهرها للغة القديمة كما ادرت ظهرها للديانة القديمة التي كانت سائدة في العصر الجاهلي، وهذا سبب قوي في الشك في صحة نسبة هذه الاشعار للجاهلية.(34)

- مضمون القصائد، ويبدأ اولا بمقارنة بناء القصيدة العربية الجاهلية مع دلالة النص القرآني (وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ، أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ، وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لا يَفْعَلُونَ) (35) اذ يقول إن قول القرآن (في كل وادٍ يهيمو) يقابل النظم بمقاطع غزلية مطردة، وإذا شرعوا في وصف رحلاتهم ومطاياهم فلأن القرآن يقول: (والشعراء يتبعهم الغاوون...) واذا شرعوا في ذكر مآثرهم وأفعالهم اللاخلاقية، فلأن القرآن يقول:(انهم يقولون مالا يفعلون).(36)

ثم يرى ان هذه القصائد تُظهر علما جماً في معرفة خصائص اعضاء الفرس والجمل وطبائع الحيوان، وهذه الامور قد درسها النحويون والشعراء من قبلهم، ويذهب إلى ان الجدل القرآني لابد ان يكون مأخوذا من جراء هذا؛ لأنه لابد ان يكون لهم مصدر رسمي لأفكار متداولة، وبعد ذلك يقف ازاء وصول القصيدة العربية وعملية تناقلها بين الشعراء وصولا إلى الرواة معتمدا على كتاب الاغاني.(37)

ثم يقف عند موضوع كان يلح عليه كثيرا في حديثه عن الأدلة الداخلية والخارجية وهو موضوع زمن نظم هذه القصائد او بداية نظم الشعر العربي، وهل هو اثر قديم ولاسيما ان الاثار هي تشير إلى ما بعد الاسلام، ام انه نظم بعد الاسلام؟ وهو بهذا يكون تطويرا للأساليب الموجودة بعد القرآن، ويرى أن من الصعب أن تشك بالشعر الأموي، لكنه يشك في النظرية التي ترى أن العرب نظموا الشعر في الجاهلية؛ لأنه لا يملك بيتاً اسبق من الاسلام.(38) ثم يطرح المسوغات التي جعلته يتبنى هذا الرأي وهي:

- غياب الشعر من النقوش القديمة.

- خلو القرآن من الموسيقى، ويرى ان كتاب الاغاني هو اول فن ادخل الموسيقى، وبناءا على هذا الفرض، يقول اذا كانت الموسيقى من منجزات العصر الأموي فهل نتصور ان العروض موجود لدى العرب على هذا التناسق والوفرة؟ ويسند في هذا التحليل إلى ان قانون ظهور الإبداع ، يبدأ من الرقص ثم الموسيقى ثم الشعر. ويرى ان انفصال الشعر عن الموسيقى يأخذ وقتا طويلاً، ليذهب إلى ان وجود السجع والوزن في القرآن

DOI:10.52113/uj05/023-16/1853-1868

هو تطوير لكلها ليكونا ممهدين لظهور الشعر ثم يستشهد لرؤية بن العجاج الذي مدح الخليفة العباسي بوزن الرجز وهذا يمثل منتصف المسافة بين الشعر والنثر.[39]. وبناءا على ما تقدم يرى مرجليوث ان (الشعر الجاهلي المعروف لدينا وربما كل الشعر الذي قبل العصر الأموي مشكوكاً فيه).[40] ويتساءل إذا كانت المماليك التي كانت متحضرة لا يذكر لها شعراً، كيف يكون لبدو رحل شعر مثقف كالشعر الجاهلي، ليصل إلى نتيجة مفادها أن كلا من الشعر والنثر المسجوع مشتقان من القرآن، وأن تلك الجهود الأدبية التي سبقت القرآن كانت أقل فناً وليس أكثر. ثم يستشهد بوصف طرفة بن العبد لفخذي ناقته، مستحضرا التصوير القرآني لملكه سبأ وهي تسير بساقين رافعة طرفي ثوبها عندما ارادت الولوج إلى داخل القصر ظننا منها انه ماء، وهذه الصورة كما يرى مرجليوث صورة قرآنية، كيف وصلت إلى طرفة؟ [41] ثم عرج على الالفاظ القرآنية التي وجدها في شعر عمرو بن كلثوم التغلبي الذي توفيَّ قبل البعثة بأثني عشر عاماً، ليصل إلى نتيجة وهي تظهر حيرته في تبني قول قاطع بنشأة الشعر العربي اذ يقول:(ويبدو أن من الحكمة ان نُرجئ الحكم، وذلك ان طبيعة الدليل العربي امامنا محيرة)[42] وسبب ذلك عنده غياب النقوش، أما ما نقله الرواة فيمكن حمله على الظن والشك إلى أبعد مدى.[43]

المبحث الثاني : (اصول الشعر العربي) النقد

- علم الغيب

بعد العرض الذي قدمه مرجليوث للتهم التي اتهم بها الرسول عليه السلام وهي الكهانة والشعر وارتباط هذه الكهانة بالجن استنتج أمرا غريباً وهو (أن الشعراء كانوا يتنبؤون بالغيب)[44]، ولعل من ناقلة القول إن التهمة الاكثر تداولا عند المشركين هي تهمة الشعر، وربما تأتي بعد السحر، ومن يتفحص النص المقدس يجد أنه لم يقل إن الشعراء كانوا يعلمون الغيب، بل قال إن لهم مذاهب شتى في القول، وهذه لا تعني علم الغيب، وقد يكون الأمر قد اختلط على مرجليوث، فخلط بين قول العرب انفسهم ومنهم الشعراء بان لكل شاعر شيطان وبين النص القرآني، واذا تفحصنا الاشياء التي أُتهم بها الرسول سنجد أن الكهانة والسحر هما اللتان يصدق عليهما استنتاج مرجليوث وليس الشعر.

- غموض الشعر

من الملاحظ الأخرى التي قال بها مرجليوث هي استدلاله (أن الشعر كان غامضا)[45] مقارنة بالقرآن الذي وصف نفسه بالبيان في قوله تعالى: (إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُّبِينٌ)(46)، والابانة هنا ليس فقط وضوح المعنى الذي تحت الالفاظ، فهذا فهم ساذج للنص القرآني، انما هي ابانة اشياء اخرى أبعد من قضية اللفظ والمعنى، واذا ذهبنا جدلاً مع مرجليوث فيما ذهب إليه، فأننا نجده يصدق على فهم المتلقي اليوم للشعر الجاهلي، أما في العصر الجاهلي فلا نظن ذلك، بل نجزم أنه كان أيسر فهماً كونه من معطيات حياتهم اليومية.

- الرسالة وقول الشعر

في حديث مرجليوث عن علاقة الرسول عليه السلام بالشعر يرى (أن محمدا لم يكن مطلعاً على فن الشعر)[47] ، وهذا قول لا يصمد أمام الوقائع وهو باطل لا يمكن قبوله؛ لأن الرسول عليه السلام هو الذي وصف نفسه (أنا أفصح العرب بيد أني من قريش)[48] وافصح العرب تعني أنه يعرف أساليب القول ومسالكها، والشعر كان مادة القول الأولى عند العرب ومن أهم روافد ثقافتهم، فكيف لا يعرف الرسول الشعر ويميزه ويتأثر به؟، وكان الخليل بن أحمد يقول:(كان الشعر أحب إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من كثير من الكلام ، ولكن لا يتأتى له)[49] أي لا يتبنى قوله ولا يقوله، كي يفوت الفرصة على المشركين، واجهاض ادعائهم من أن هذا القرآن من نظمه وصياغته، فاراد الباري أن ينزه الرسول عن الشعر لهذا الغرض ليس الا. وقوله تعالى (وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنبَغِي لَهُ)(50) أي ما

DOI:10.52113/uj05/023-16/1853-1868

علمناه نظم الشعر ولا يجوز له ذلك وليس عدم معرفته، فهو يعرفه جيدا.

أما الحديث الذي ذكره مرجليوث وهو (لأن يَمْتَلِئَ جَوْفُ رَجُلٍ قَيْحًا خَيْرٌ له مِن أَنْ يَمْتَلِئَ شِعْراً)(51) فالنص النبوي موجه نحو(فِيمَن غَلَبه الشِّعرُ وكَثُر منه حتَّى شَغَله عن القُرآنِ وعن ذِكرِ الله، أو يكونُ المرادُ بالشِّعرِ ما تَضمَّن سبًّا وهِجاءً أو مُفاخَرةً، كما هو غالِبُ شِعرِ الجاهليِّين)(52)، فالشعر الذي استهدفه الحديث واضح ولا يخص الشعر كله، بدليل أن الرسول عليه السلام كان يشجع الشعراء ويحثهم علة نظم الشعر لتبيان مبادئ الاسلام ومن اهم شعراء الرسول كان حسان بن ثابت وكعب بن مالك وعبد الله بن رواحة وكانوا من اهم الشعراء الذين نافحوا الخصوم من المشركين، بل منهم من استشهد في معارك الاسلام ذلك عبد الله بن رواحة الذي تقلد قيادة الجيش الاسلامي بعد استشهاد جعفر بن ابي طاب في معركة مؤته.

- **ازدهار الشعر**

يرى مرجليوث أن استقرار الحياة الاجتماعية هو من الاشتراطات الهامة في ازدهار الحياة الثقافية والأدبية، وان هذا (الاستقرار لم يأت حتى أولى الحكم الأموي)(53) وقد بنى مرجليوث حكما على هذا الافتراض وهو ان رواية الشعر لم تستعد عافيتها بعد انشغال المسلمين بالحروب ولاسيما في السنوات الاول، وهذا يمكن رده من جوانب كثيرة منها:

- ان مذاكرة الشعر عند العرب لم ترتبط بالاستقرار مطلقاً؛ لأن الشعر في اساسه نمى وازدهر في حياة لم تكن مستقرة في يوم من الايام، بل نجد أن الشعر عند العرب انما يزدهر في الحروب؛ لأنها احد اهم بواعث وجوده، كما كان يقول ابن سلام، والمصاديق على ذلك كثيرة جدا، فالشعر كان سلاحاً فعالاً في هذه الحروب، والاداة الاعلامية الأكثر انتشارا وتأثيرا فيها، وتاريخ الأدب العربي يذكر لنا حوادث كثيرة بهذا الشأن، ومنها على سبيل المثال ففي حرب صفين اختلف الجيش فمن هو افضل الشعراء، وقد احتكموا إلى قائد الجيش وخليفة المسلمين أمير المؤمنين علي بن ابي طالب عليه السلام فحكم وفق رؤية نقدية تدل على وعي فذٍ ودراية كبيرة في فنون الشعر، ومعرفة ثاقبة بأساليبه ومسالكه واعلامه، فقال: (كل شعرائكم محسن، ولو جمعهم زمان واحد وغاية واحدة ومذهب واحد في القول لعملنا أيهم أسبق إلى ذلك. وكلهم قد أصاب الذي أراد وأحسن؛ فإن يكن أحد فضلهم فالذي لم يقل رغبة ولا رهبة امرؤ القيس بن حجر، فإنه كان أصحهم بادرة وأجودهم نادرة)(54) ومن يتفحص هذا الحكم يجد أنه لابد ان يكون قد صدر عن شخص خبر كل الشعر الجاهلي، علما أن امير المؤمنين عاش في الجاهلية زمنا قصيرا جدا حتى قيل أنه لم يسجد لصنم قط، فقد تكونت ثقافته في كنف الاسلام.

واذا سلمنا جدلا بقول مرجليوث المتقدم نقول: إن الاستقرار حدث في المجتمع العربي مبكرا بل اصبح هذا المجتمع يعيش برخاء ورفاهية، ولا سيما بعد ان خرجت الجيوش الإسلامية خارج الجزيرة العربية، واصبحت تقاتل خارج بلاد العرب، وهذا يعني الاستقرار متوفر في المجتمع العربي. اما مهاجمة القرآن للشعراء فهذا تجني على النص المقدس لأنه استثنى منهم طائفة كبيرة(وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ إِلا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ)(55) وهذا ما لم يذكره مرجليوث وان جاء ذكره فينسبه لعدم الوضوح، وهو واضح جلي، فالقرآن لم يستهدف الشعر لذاته بل استهدف نوعا منه لا يتوافق مع مبادئ الاسلام.

-اما في قضية توحيد الاسلام للعرب ووقوفه امام العصبية القبلية ولاسيما الشعر الذي يثير الشحناء والحقد وهذا واقع فعلا والحوادث التاريخية تشير له، ولكن مرجليوث قال ان الشعر العربي لم يكن كله في الهجاء ولا في الحقد، فهو يضم كذلك الفخر والمدح والغزل والرثاء، فضلا عن هذا فإن سلطان الخليفة لا يتعدى مركز الخلافة بحكم علمه بها أو ما يصله من شكوى كشكوى الزبير، اما ما يحدث داخل القبيلة او القبائل البعيدة لا علم للخليفة به وهو لا يستطيع منع الناس من

DOI:10.52113/uj05/023-16/1853-1868

الحفظ، لأن الشعر عند العرب كان جل علمهم وتراثهم بل حياتهم فلا ينفكون عنه ابدا سواء بالحروب او بالسلام، وهذا يعني ان الاسلام لم يمنع الشعر كله انما خص المنه بطائفة منه.

- وجود الكتاب

تناول مرجليوث قضية وجود كتاب قبل القرآن عند الجاهلين[56] (أَمْ لَكُمْ كِتَابٌ فِيهِ تَدْرُسُونَ) [57]، وقد ذهب إلى إن المراد بالكتاب الذي تساءل عنه النص المقدس هو الشيء المكتوب، كأن يكون شعراً او غيره، ولعل خير من تناول موضوع الكتابة في العصر الجاهلي وهل إن الشعر الجاهلي وصلنا مكتوباً في الجاهلية أم لا هو الدكتور ناصر الدين الأسد [58] ويبدو إن دلالة الكتاب الذي جاءت في النص المقدس إنما اراد به الكتاب السماوي مثل الذي عند اليهود والنصارى، وقد كانوا يفخرون به على العرب، فهم أصحاب كتاب، وليس ما ذهب إليه مرجليوث، وقد يكون الكتاب -إذا ما ذهبنا مع مرجليوث – ورقة واحدة، ولو كانت العرب تكتب شعرها لوصل إلينا ما يدل على هذا الامر، ولو كان موجودا فإنه غير موثوق فيه.

- انتظام الشعر

اما قضية التناسق التي قال بها مرجليوث واحتكامه إلى مبدأ التطور الطبيعي للموسيقى، والذي قاده إلى ان الشعر الجاهلي جاء بعد القرآن لأنه اكثر انتظاماً[59] ويشهد على ذلك ما كان للأدب اللاتيني ولاسيما هوراس.

ان استنتاج مرجليوث غير دقيق ويجانب الصواب؛ لأنه يقارن بين نصيين لا تصح المقارنة بينهما: الشعر الجاهلي هذا الذي نظمه البشر، والقرآن المنزل من الله سبحانه وتعالى لغاية عظيمة سماوية تشريعية انسانية لا يتلاءم معها إلا الاسلوب القرآني وهو اسلوب خاص كما وصفه طه حسين، فالقرآن لم يكن ابداعاً بشرياً حتى نخضعه لسلم تطور الإبداع البشري، ولم تكن غاية منزله هذا الامر، فهو منزل لغاية اسمى واجل. انما الإبداع العربي هو الشعر الجاهلي الذي وصفه مرجليوث بالانتظام والتناسق وهو مرحلة ناضجة بل في قمة نضج هذا الإبداع، إلا اننا للأسف غابت عنها المرحلة التي يتحدث عنها مرجليوث فوصفها باللاتناسق.

ان هذا الخلط بين سماوية النص القرآني وبشرية النص الجاهلي قد اوقع مرجليوث في خطأ كبير بنى عليه نظريته في الشك في الشعر الجاهلي؛ فهذا النص قد اعجز أهل الفصاحة وأهل الانتظام الابداعي ان يأتوا بسورة واحدة بمثله ولو كان ابداعا بشريا ليتمكن هؤلاء برد هذه الحجة بصرف النظر عن وجوه الاعجاز.

- وجود النذير

اما قصيدة ورقة بن نوفل التي اثبتها الاصفهاني[60] وفيها من المعاني القرآنية ما فيها فهذا تدحضه أمور كثيرة منها: أن الاسلام لم يأت او يبدأ من الصفر، وانما جاء متمماً لمكارم الاخلاق التي وجدت عند العرب كما يذكر الحديث النبوي(إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق)[61] فالعرب كانت تعرف الكثير عن قضايا التوحيد بحكم التاريخ وبحكم الجوار، فالاحناف كان لهم حضورا في الجزيرة العربية، وكانوا على ملة إبراهيم عليه السلام، وهوما تثبته الكتب السماوية الأخرى والمصادر التاريخية[62] فضلا عن النص القرآني، وان وصف الرسول عليه السلام لأمية بن ابي صلت (آمنَ شِعْرُهُ وَكَفَرَ قَلْبُهُ)[63] هو خير مصداق على وجود هذا التوحيد، وهذا ما يفسر لنا أن الرواة لم يفعلوا فعلهم مع النصوص الشعرية الجاهلية التي كانت تذكر التوحيد مقارنة بتلك النصوص التي كانت تنال من الرسول عليه السلام وأصحابه بل وحتى التي كانت تذكر الديانة الوثنية؛ لذلك لا نجد ما يدل عليها، لأنها خضعت للتعديل والتطويع وربما للحذف، فالحيف والاجحاف والتدليس وقع على النصوص التي لا تتلاءم والدين الجديد فضلا عن النصوص الهجائية.

ومما لاشك فيه أن العرب في الجاهلية كانت تعرف ما يدين به ورقة بن نوفل وأمية بن ابي الصلت واصحابهم، بل كان لقريش

DOI:10.52113/uj05/023-16/1853-1868

من ورقة موقف رافض، ولعل ذهاب خديجة بنت خويلد زوج الرسول عليه السلام لورقة بن نوفل واخبارها اياه بخبر الوحي، هو دليل قاطع بوجود هذا التوحيد والاعتراف به، بل إن الناس كانوا يطمئنون لهؤلاء الموحدين ويثقون بما يقولون.

- الرواة مصدر الانتحال

اما في موضوع الرواة نجد مرجليوث ينتقي الروايات التي تدل على وجود الانتحال، أو التي تغض من هؤلاء الرواة ومصدره في ذلك كتاب الاغاني وبعض الأدباء، فحاول جاهداً أن يضعّف اغلب الرواة ويثني كثيرا على الرواة الشعوبيين من أمثال ابي عمرو الشيباني؛ لأنه لا يحفظ من الشعر إلا القليل جدا، ولو قرأ مرجليوث جيداً كتاب الاغاني لوجد كم هائل من الروايات التي توثق رواية الاصمعي، وتدل على صدق بعض الرواة الذين ذكرهم في معرض الطعن على الرواية العربية لكنه اكتفى بما هو سيء فقط .

- الاسلام انقطاعٌ عن الماضي

يرى مرجليوث ان ظهور النبي كان حدثا هائلا وإنه كان انقطاعاً عن الماضي[64] ووجهة النظر هذه تصدق في جزئية ويخفق في أخرى، فظهور النبي كان حدثاً عظيماً ليس عند العرب فقط بل في العالم والإنسانية؛ لما للإسلام من اثر كبير في إعادة توثيق الصلة بين الخالق والمخلوق فضلا عما احدث الاسلام في تأسيس دولة عظيمة غيرت الخارطة العالمية وزحزحت دول عظمى كانت تخضع العالم كله لسيطرتها، وأما انقطاعه عن الماضي فهذا فيه نظر كبير يحتمل الصدق بخصوص الدين والاخلاق، أما الجوانب الأخرى فلا نعتقد ذلك لقول رسول الله عليه السلام (إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق)، فالقرآن نزل بلغة القوم، فجاء معجزاً لثقافتهم ومتمماً لمكارم اخلاقهم، وهذا دليل قوي على أن الاسلام لم يقطع الصلة بما تقدمه، وانما عزز ما كان صالحاً، وقاوم ما كان طالحاً.

- غياب جو الشرك في المدونة الجاهلية

يرى مرجليوث (أن جو الشرك في مدونات الشعر الجاهلي كان وبكل بساطة غائبا)[65] وفي الموضع نفسه يقول: فبعض هؤلاء المزعومين بأنهم نصارى يظهر بوضوح إنهم ينتمون إلى مذاهب شتى، ومن هذا النمط أعشى قيس نجد لديه ايمانا بالآلهة الوثنية[66] ويبدو ثمة تناقض بين القولين، فمرة يقول بغياب الوثنية، وأخرى يقول بوجودها عند الاعشى، وقد غاب عن مرجليوث أنها موجودة أيضاً عند غيره، فقد ورد ذكر الآلهة الجاهلية في ديوان الحماسة، والقسم بالشمس في ديوان الهذليين، والقسم بالعزى عند عمرو بن معد يكرب[67] واذا سلمنا بقلة الاشارات التي تدل على الوثنية في الشعر الجاهلي، فإننا نرجعه إلى تجنب المسلمين ذكر الالفاظ التي تدل على الاله الوثنية، واستبدالها بأسماء الله في كل شعر ترد فيه مثل هذه الاشارة[68]، فضلا عما ذهب إليه رواة القبائل ورواة الشعراء من طمس بعض هذا الشعر حرصاً منهم على شعرائهم، فلم ينقلوا لنا إلا ما كان متوافقاً مع المبادئ الإسلامية، والجزم في مثل هذا الفعل يصل عندنا إلى اليقين؛ لأن الاسلام جاء ثائرا على الوثنية، فمرت هذه الاشعار بمرشحات من أهمها رواة الشعر، فكان هؤلاء يصلحون الاشعار بما يتوافق مع الدين الاسلامي وهو ما صرح به علماء الشعر القدامى، أما القليل الذي ورد فهو ما كان معروفاً مشهوراً بين الناس، فأصبح خارج سيطرة هؤلاء الرواة.

أما ورود الالفاظ القرآنية في الشعر الجاهلي فهذا يحتمل ثلاثة وجوه: اصلاح الرواة، وتعمد طمس الاشعار التي تدل على الوثنية من قبل ورثة الشاعر نفسه، أو تطويع شعره بما يتوافق مع الاسلام، والوجه الثالث هو ان العرب لم يكونوا عبدة اوثان فقط، وانما كانوا موحدين بدلالة النص القرآني (وما نعبدهم إلا ليقربونا الى الله زلفى)[69]، فهم يعرفون الله سبحانه (ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله)[70] فهؤلاء

DOI:10.52113/uj05/023-16/1853-1868

الموحدون كانوا يمثلون النخبة، والشعراء ينتمون لهذه الطبقة الارستقراطية في تفكيرها، ولهذا وردت هذه الألفاظ في شعرهم فضلا عما تقدم أن القرآن لم يأت بألفاظ من خارج العربية إلا اليسر جدا، والشعراء هم أقرب الناس إلى اللغة واكثرهم تفقه بها.

ويبدو ان العرب في الجاهلية وحتى في الاسلام لم ينظروا إلى ديانة الشاعر بل نظروا إلى نتاجه، ولا يهمهم من القائل وبما يدين بقدر ما يجذبهم المقول، فالأخطل التغلبي مثلا كان شاعر بني امية وهو نصراني الديانة، بل وصل به الأمر إلى هجاء الأنصار امام الخليفة الاموي الاسلامي، ومشابه لهذا ما ذكره مرجليوث نفسه عن شاعر نصراني ذكره صاحب الاغاني يقسم بالنصرانية.([71])

- الشعر الجاهلي لا يمثل اللهجات

يعتمد مرجليوث في الدليل الثاني من ادلته الداخلية على ما نقله ابن الكلبي من شعر لملك حضرموت الجنوبية بلهجة شمالية.([72]) من الملاحظ الهامة على مرجليوث انه يعمد إلى الشخصيات الاشكالية التي عليها ما عليها ويتبنى آرائهم، وهذا ما يعزز الشك لدى المتلقي بتحامله على الشعر الجاهلي والتراث العربي، فقد اعتمد على رواية ابن الكلبي التي ردَّها ابن سلام الحجمي 331 هـ منذ وقت طويل في كتابه طبقات فحولة الشعراء([73]) وقد كفى مرجليوث وكفانا عناء في البحث عن اللغة الجنوبية ابو عمر بن العلاء عندما قال (ما لسانُ حمير وأقاصي اليمن اليوم بلساننا، ولا عربيتهم بعربيتنا)([74]) وكان حرياً بمرجليوث اعتماد هذا العالم كما اعتمد عليه في نصوص سابقة، وهذا ما يشعر القارئ بانتقائية مرجليوث.

ولعل من نافلة القول ان لغة الجنوبيين هي ليست لغة الشماليين وان الشعراء الجنوبيين الذين قالوا شعرا بلغة الشماليين انما هم ولدوا في الشمال ولاسيما بعد هجرة القبائل اليمانية بعد انهيار سد مأرب، وكذلك بعد تقهقر سيطرة الجنوبيين على الجزيرة العربية، وتعرض سلطانهم للزوال وبدأ سلطان الشماليين بالظهور، فكانت سيطر الشمال سياسة وثقافة ولغة، فثقافة الغالب تبعتها ثقافة المغلوب فكان الإبداع شماليا لروعته وحسن صياغته، وهذا الامر جعل العرب ولاسيما الشماليون اكثر اعتزازا بلغتهم تلك التي اعطتهم الشهرة والمجد، ولاسيما وانها تُنشد على العيون في وسط الجزيرة، فنجدها في انحاء متفرقة منها لسرعة تداولها بين القبائل.

هذا الامر دفع الشعراء إلى النزوع من اللهجة المحلية التي تمثل القبيلة إلى القومية التي تمثل العرب بشكل عام، فعلية ان ينظم شعرا تفهمه كل القبائل، ولاسيما وانه سينشد في الاسواق والنوادي والتي لا تقتصر على قبيلة دون اخرى.

- البناء الفني للقصيدة الجاهلية

في دليل مرجليوث الثالث يتناول البناء الفني للقصائد الجاهلية ويقارنه بالنص القرآني (وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ، أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ، وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لا يَفْعَلُونَ) إذ يقول: إن قول القرآن (إن الشعراء في كل وادٍ يهيمون....) يقابل النظم بمقاطع غزلية مطردة، وإذا شرعوا في وصف رحلاتهم ومطاياهم فلأن القرآن يقول: (والشعراء يتبعهم الغاوون...) واذا شرعوا في ذكر مآثرهم وأفعالهم اللاخلاقية، فلأن القرآن يقول:(انهم يقولون مالا يفعلون).([75])

ويبدو إن هذا الادعاء رده بسهولة فنقول: لو أن هؤلاء الشعراء كانت لديهم معرفة سابقة بالنص القرآني لما نظموا على شاكلته، لأنهم كانوا يدينون بالإسلام حسب ادعاء مرجليوث وكان حري بهم وبتأثير الديانة الجديدة إن يتجنبوا هذا الوصف القرآني؛ لأنه يدخلهم مع الغاوين وهذا الدخول يسقط عنهم إسلامهم، وهذا ما لا يرتضيه جل الشعراء وإن قبله بعضهم على فرض التخمين، ومن ثمَّ فإن هذا البناء الفني لا يمكن ان يُكتب له النجاح كما كُتب له في الشعر الجاهلي بل الشعر العربي وصولا إلى الشعر العباسي؛ لأن غير مرغوب فيه من قبل جل الشعراء لمخالفته معتقدهم الديني، فلن يكون تقليدا ادبياً

DOI:10.52113/uj05/023-16/1853-1868

شائعاً، وهذا خلاف الواقع، فالنص المتقدم يبين أن النص القرآني وصف بناء قصائد هؤلاء الشعراء الذين لا يعرفون الإسلام وصفاً صادقاً وواقعياً؛ لأن هذا الشعر في الأنوجاد الدنيوي سابق على النص القرآني، فالنص المقدس يصف واقعاً يعرفه المتلقي وليس العكس كما جاء في ادعاء مرجليوث.

ودحض هذا الرأي هو دحض لرأيه في أيهما أقدم الشعر العربي أم النص القرآني؟ لأن الفرضيتان تلتقيان في المقدمات والنتائج.

- التطور البديهي للموسيقى

يرى مرجليوث إن الشعر العربي لا يخضع لبديهية تطور الفنون الموسيقية التي تبدأ من الرقص مروراً بالموسيقى وانتهاء بالشعر.([76])

إن غياب أو عدم وصول أو ضياع المرحلة الأولى لنشأة الشعر الجاهلي هو الذي حرم الأمة من استيضاح حقيقة الأمر، ووجود الشعر الجاهلي على هذه الصورة المتكاملة من حيث النضج الموسيقي، فدراسة (ايقاعية الشعر العربي ظاهرة معقدة جداً)([77]) إلا أننا لا نعدم أن يكون الشعر الجاهلي قد مر بهذه المراحل ولكن ليس بهذه الدقة، فالشعراء كانوا يرتجلون اشعارهم ارتجالا، ثم ينشدونها انشاداً والانشاد صنو الغناء، ولا انشاد ولا غناء من غير تلحين([78])، وهذا ما ذهب اليه يوسف خليف في كتابه(دراسات في الشعر الجاهلي)([79]) وبذلك يكون الشعر العربي قدر مر بالمراحل التي قال بها مرجليوث وفقاً لمعطيات طبيعة الحياة في العصر الجاهلي، فضلا عما تقدم نجد أن أغلب النقاد الذين تناولوا نشأة هذا الشعر قالوا بهذا الأمر ولاسيما في نظرية الحداء([80])، وإلى هذا تذهب النظرية الحديثة التي قال بها النقاد العرب التي تذهب إلى أن الشعر العربي هو تطور عن الرجز وهو البحر الذي يساعد الشعراء على الارتجال.([81]) فهذه النظريات هي نظريات موسيقية قبل أي شيء آخر.

- النقوش والشعر الجاهلي

في أكثر من موضع في هذا المقال يذكر مرجليوث النقوش ويعوّل عليها في قبول هذا الشعر من عدمه، وفي هذا السياق نقول أن الشعر الجاهلي هو نتاج بيئة صحراوية واقوام بدو تقوم حياتهم على الترحال طلباً للماء والكلأ، ومما لاشك فيه أن النقوش تتطلب حياة مستقرة وهادئة تتوافر فيها على الاقل بعض معالم التحضر وادواته ومن اهم هذه المعالم القراءة والكتابة، وهذا مما لا يتوافر في البيئة التي نشأ فيها الشعر الجاهلي وازدهر، بل عُدَّ هذا سمة يفخر فيها العربي وأريد بها الشفاهية، التي بقية معيارا صامدا لحين تدوين الشعر العربي حتى قيل لا يقبل من صحفي، واذا ما وجد هذا الشعر مكتوبا فإن هذه الكتابة ستكون مدعاة شك في صحته، لكل ما تقدم نجد أن حجة مرجليوث في عدم وجود النقوش تتهاوى ازاء تقاليد القوم الذين نظموا الشعر الجاهلي التي تقاوم فعل الكتابة.

وبعد كل ما عرضه مرجليوث من أدلة وبراهين، يقف شاكاً فيما وصل إليه من نتائج، ويمكن قراءة هذا الشك وتلك الحيرة في قوله: (وإذا بدا لنا أن من الأفضل تعليق الحكم في مسألة بداية الشعر العربي وهل يعود إلى الازمنة السحيقة أو إلى ما بعد مجيء القرآن، فإن السبب يكمن في الطابع المحير للبرهان الذي بين ايدينا).([82])

في النص المتقدم وعلى الرغم مما ساقه مرجليوث من أدلة وبراهين على هذا الشعر الذي يسمى الجاهلي هو شعر قيل بعد نزول القرآن، إلا انه لم يصل إلى الجزم بعدم صحته، وهو يرجئ هذا الحكم إلى حين توفر الدليل.

إن ما توصل إليه مرجليوث من نتائج اعتمادا على الأدلة لا تعدو أن تكون إلا شكوكاً ساورته فاستقراها في أدبيات الثقافة العربية من شعر ومؤلفات أدبية؛ لكنها لم تسعفه للوصول إلى يقين حول هذه القضية التي أُثيرت في مطلع القرن العشرين

DOI:10.52113/uj05/023-16/1853-1868

مخلفة وراءها ثورة نقدية عارمة تصدى لها جل من تناول موضوع الشعر الجاهلي، ولعل التأثير الأكبر تجلى فيما سطره طه حسين في كتابه(في الشعر الجاهلي) وفيه تبنى المؤلف افكار مرجليوث بشيء من التفصيل، لتنهال عليه جملة من الكتابات النقدية التي يمكن عنونتها بالردود على طه حسين، مما جعل طه حسين يستدرك على الكتاب ويعيد انتاجه من جديد في 1928.

واذا كان من محصلة لهذه الوقفة النقدية بعيدا عن التعصب واللاموضوعية فإنه يمكن اجمالها بالقول: إن الكثير من الأدلة والبراهين التي عرضها مرجليوث ومن بعده طه حسين إذا ما عُرضت على المعايير المنطقية لا يمكن ردها وهي مقبولة لقيامها على الدليل والشاهد، وحينما تتوافر هذه الأدلة يكون تجاهلها مجانباً للحقيقة ويدخل تحت مفهوم السفسطة، إلا اننا لا نتفق معه فيما يخص جوهر القضية التي تناولها في مقاله وهي عائدية هذا الشعر للعصر الجاهلي- علما أنه شكك في كل الأدلة التي ساقها في آخر فقرات مقاله- وعدم الاتفاق هذا ليس بدافع قومي وانما لأسباب اخرى نجدها منطقية تتعلق بمجموع ما كتبته الأمة عن الشعر الذي ايقنت أنه جاهلي النظم وهي قريبة العهد بالعصر الجاهلي، فهذا الخليفة الثاني يصف مكانة الشعر في العصر الجاهلي قائلا: (كان الشعر علم قوم لم يكن لهم علم أصح منه)([83])، وفيه ايضاً قال الأقدمون (كان الشعر في الجاهلية عند العرب ديوان علمهم، ومنتهى حكمهم، به يأخذون، وإليه يصيرون)([84])، إلا أننا لا نعدم أن هذا الشعر قد تعرض لعملية اصلاح كبرى قام بمهامها الرواة والقصاص ومن جمع الشعر وأهل اللغة فضلا عن ذوي الشعراء وقبائلهم، فوصل هذا الشعر وقد تمت اسلمته، وكانه نُظم والاسلام بين ظهراني هذه الامة، وعلى الرغم من كل ما تعرض له هذا الشعر فأنه يبقى في مجمله يمثل العصر الجاهلي في كثير من مفاصله.

الخاتمة:

بعد هذا التجوال النقدي في متاهات فكر الكاتب الإنكليزي ديفيد صمويل مرجليوث في مقاله الشهير (اصول الشعر العربي) توصل البحث إلى:

- اعتمد الناقد منهجاً نقدياً محكماً في معالجة هذه القضية النقدية، فابتدأ بالأدلة الخارجية ثم الداخلية، فضلا عن منهجية دقيقة داخل هذه الأدلة.

- إن الأدلة والشواهد التي اعتمدها مرجليوث في تعزيز وجهات نظره ازاء القضايا النقدية التي عرضها في نفي عائدية الشعر الذي يسمى بالجاهلي إلى العصر الجاهلي، كانت حقيقية وصادقة.

- حاول الناقد اقناع المتلقي بأساليب مختلفة، موظفاً البراهين والشواهد التي استقاها من الشعر الجاهلي نفسه، فهو يحاول هدم هذا الشعر من خلال الشعر نفسه.

- عمد مرجليوث إلى الروايات الضعيفة المشكوك فيها والتي في اصلها لم تحض بالقبول من النقاد العرب القدامى التي تم ردها منذ زمن بعيد، وإلى الرواة المشكوك في مصداقيتهم، لتعزيز وجهات نظره.

- على الرغم من كل الأدلة التي ساقه الناقد إلا انه ارجئ الحكم على زمنية الشعر الجاهلي إلى توفر الأدلة التي سيقول بها باحثون جدد تتوافر لديهم الأدلة الدامغة.

- إن الشك في عائدية بعض هذا الشعر الذي نسميه الشعر الجاهلي أمر مشروع، ولاسيما اذا ما توفرت الأدلة والبراهين، وقد اقر بذلك النقاد القدامى قبل المستشرقين ومنهم ابن سلام الجمحي (332هـ)، إلا أن الأمر غير المشروع هو أن ننفي كل هذا الشعر عن ذلك العصر.

DOI:10.52113/uj05/023-16/1853-1868

- مما لا يمكن انكاره أن بعض الشعر الجاهلي الذي بين ايدينا قد تعرض لعملية تطويع كبرى؛ لجعله متوافقاً مع التوجه الايدلوجي السائد في ذلك الوقت.

- إن وجود الالفاظ الاسلامية في الشعر الجاهلي لا نجده حجة قوية على اسلامية هذا الشعر؛ لأن الديانات الابراهيمية كانت منتشرة في الجزيرة العربية.

- إن الشعر الجاهلي الذي بين ايدينا في مجمله شعر يرجع إلى العصر الجاهلي، وقد اصطبغ بعضه بصبغة اسلامية.

الهوامش

1- المتنبي/ رسالة في الطريق إلى ثقافتنا، محمود محمد شاكر ، مطبعة المدني المؤسسة السعودية بمصر ،القاهرة ، دار المدني بجدة، 1987، 14.

2 - محاكمة فكر طه حسين / مراجعة كاملة لمؤلفات وكتابات طه حسين خلال خمسين عاماً في موجهة ردود أكثر من أربعين عالماً، أنور الجندي، دار النصر للطباعة الإسلامية، مصر، 166.

3 - اصول الشعر العربي، ديفيد صامويل مرجليوث، تر: يحيى الجبوري، 53.

4 - المصدر نفسه، 54 .

5 - المصدر نفسه.

6 - ينظر: المصدر نفسه ، 55 .

7 - المصدر نفسه ، 56.

8 -ينظر: المصدر نفسه ، 57 .

9 - ينظر: المصدر نفسه ، 58 – 59 .

10 - ينظر : المصدر نفسه ، 59 .

11 - المصدر نفسه، 59.

12 - المصدر نفسه، 60 .

13 - المصدر نفسه، 60 .

14 - المصدر نفسه، 60 .

15 - ينظر، المصدر نفسه ، 61 .

16 - القلم / 37 .

17 - القصص ، 46 .

18 -اصول الشعر العربي، 62 .

19 - المصدر نفسه ، 63 .

20 - ينظر : المصدر نفسه ، 64 .

21 - ينظر: المصدر نفسه ، 64 ، 65 .

22 - ينظر: المصدر نفسه ،65 – 67 .

23 - ينظر: المصدر نفسه ، 69 – 70.

24 - المصدر نفسه، 70

25 - ينظر: المصدر نفسه ، 71 .

26 - المصدر نفسه ، 71 .

27 - ينظر: المصدر نفسه ، 72 – 73 .

28 - المصدر نفسه، 73 .

29 - المصدر نفسه، 73 .

30 - ينظر: المصدر نفسه ، 75 .

31 - ينظر: المصدر نفسه ، 76 ، 77 .

32 - المصدر نفسه: 77 .

33 - ينظر: المصدر نفسه، 78 –79 .

34 - ينظر: المصدر نفسه، 79 – 80 .

35 - الشعراء/ 224-226.

36 - ينظر: اصول الشعر العربي، 81 .

37 - ينظر: المصدر نفسه، 81 .

38 - ينظر: المصدر نفسه ، 83 – 84 .

39 - ينظر: المصدر نفسه ، 85 – 86 .

40 - المصدر نفسه، 86.

41 - ينظر: المصدر نفسه، 87 .

42 - المصدر نفسه، 87.

43 - ينظر: المصدر نفسه، 88.

44 - المصدر نفسه، 53.

45 - المصدر نفسه، 54.

46 - يس/69.

47 - المصدر نفسه، 54.

48 -الفائق في غريب الحديث، جار الله الزمخشري، وضع حواشيه: ابراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية،ط1، بيروت، 1996، 9.

49 - الجامع لأحكام القرآن، محمد بن احمد الانصاري القرطبي، دار الكتب المصرية، ط2، القاهرة، 1964، 444.

50 - يس/69.

DOI:10.52113/uj05/023-16/1853-1868

51 - صحيح مسلم، أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (٢٠٦ - ٢٦١ هـ)، تح: محمد فؤاد عبد الباقي، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، القاهرة، ١٩٥٥م ، 2259.

52 - صحيح البخاري، 6154. https://dorar.net/hadith/sharh/12825

53 - اصول الشعر العربي، 60 .

54 - منهاج البلغاء وسراج الأدباء، حازم القرطاجني، 120. https://shamela.ws/book/5388/120

55 - الشعراء/ 227.

56 - ينظر: اصول الشعر العربي، 62 .

57 - القلم/ 37.

58 - ينظر: مصادر الشعر الجاهلي، د. ناصر الدين الاسد، دار المعارف، ط5، مصر، 107 – 133 .

59 - ينظر: اصول الشعر العربي ، 62 .

60 - ينظر: المصدر نفسه، 63 .

61 - بحار الانوار، المجلسي، 282/68.

62 - ينظر: تاريخ الشعر العربي حتى القرن الثالث الهجري ، نجيب محمد الهيتي، 39– 40 .

63 - بحار الانوار، المجلسي،35/22.

64 - ينظر : المصدر نفسه، 70 .

65 - مصادر الشعر الجاهلي، 71.

66 -ينظر: اصول الشعر العربي، 71 – 72.

67 -المستشرقون والشعر الجاهلي بين الشك والتوثيق، د. يحيى وهيب الجبوري، دار الغرب الاسلامي، ط1، بيروت،1997، 17.

68 - المصدر نفسه.

69 - الزمر/ 3.

70 - لقمان/ 25.

71 - اصول الشعر العربي، تر: ابراهيم عوض، 59.

72- ينظر: المصدر نفسه، تر: يحيى الجبوري، 79 .

73- ينظر: طبقات فحولة الشعراء، محمد بن سلام الجمحي(231هـ)، تح: محمود محمد شاكر، مطبعة المدني، القاهرة، 247.

74- ينظر : المصدر نفسه ، 12.

75- اصول الشعر العربي، 81 .

76- ينظر: المصدر نفسه ، 85 .

77 - جماليات الشعر العربي/ دراسة في فلسفة الجمال في الوعي الشعري الجاهلي ،د. هلال الجهاد، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت،ط1، 2007، 87.

78 - ينظر: في النقد الجمالي رؤية في الشعر الجاهلي، د. احمد محمود خليل، دار الفكر، ط1، دمشق، 1996، 288.

79 -ينظر: دراسات في الشعر الجاهلي، د. يوسف خليف، دار غريب، القاهرة، 1981، 44-46.

80- ينظر: تاريخ الادب العربي، بروكلمان ، 44/1 ، ينظر: تاريخ الادب العربي قبل الاسلام ، د نوري القيسي ، د. عادل البياتي، د. مصطفى عبد اللطيف، 53- 54 .

81 - ينظر: دراسات في الشعر الجاهلي، 24-43.

82- أصول الشعر العربي، تر: ابراهيم عوض، 112.

83 - في النقد الجمالي رؤية في الشعر الجاهلي، 9.

84 - المصدر نفسه.

قائمة المصادر

- اصول الشعر العربي، ديفيد صامويل مرجليوث، ترجمة وتعليق ودراسة، د. ابراهيم عوض، دار الفردوس، 2006.
- اصول الشعر العربي، ديفيد صامويل مرجليوث، تر: يحيى الجبوري، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1988.
- بحار الانوار، محمد باقر المجلسي، مطبعة وزارة الارشاد الاسلامي، ط1، ايران، 1365هـ.
- تاريخ الادب العربي، كارل بروكلمان، تر: عبد الحليم النجار، دار المعارف، ط1، مصر، 1960.
- تاريخ الشعر العربي حتى القرن الثالث الهجري، نجيب محمد الهيتي، دار الكتب المصرية، مصر، 1950 .
- تاريخ الادب العربي قبل الاسلام ، د نوري القيسي ، د. عادل البياتي ،د. مصطفى عبد اللطيف.
- الجامع لأحكام القرآن، محمد بن احمد الانصاري القرطبي، دار الكتب المصرية، ط2، القاهرة، 1964.

DOI:10.52113/uj05/023-16/1853-1868

- جماليات الشعر العربي/ دراسة في فلسفة الجمال في الوعي الشعري الجاهلي، د. هلال الجهاد، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط1، 2007.
- دراسات في الشعر الجاهلي، د. يوسف خليف، دار غريب، القاهرة، 1981.
- صحيح البخاري، https://dorar.net/hadith/sharh/12825
- صحيح مسلم، أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (٢٠٦ - ٢٦١ هـ)، تح: محمد فؤاد عبد الباقي، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، القاهرة، ١٩٥٥م.
- طبقات فحولة الشعراء، محمد بن سلام الجمحي(231هـ)، تح: محمود محمد شاكر، مطبعة المدني، القاهرة.
- المتنبي/ رسالة في الطريق إلى ثقافتنا، محمود محمد شاكر، مطبعة المدني المؤسسة السعودية بمصر، القاهرة، دار المدني بجدة، 1987.
- محاكمة فكر طه حسين/ مراجعة كاملة لمؤلفات وكتابات طه حسين خلال خمسين عاماً في موجهة ردود أكثر من أربعين عالماً، أنور الجندي، دار النصر للطباعة الإسلامية، مصر.
- المستشرقون والشعر الجاهلي بين الشك والتوثيق، د. يحيى وهيب الجبوري، دار الغرب الاسلامي، ط1، بيروت،1997.
- مصادر الشعر الجاهلي وقيمتها التاريخية، د. ناصر الدين الاسد، دار المعارف، ط5، مصر.
- منهاج البلغاء وسراج الأدباء، حازم القرطاجني، https://shamela.ws/book/5388/120
- الفائق في غريب الحديث، جار الله الزمخشري، وضع حواشيه: ابراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية،ط1، بيروت، 1996.
- في النقد الجمالي رؤية في الشعر الجاهلي، د. احمد محمود خليل، دار الفكر، ط1، دمشق، 1996.

The origins of Arabic poetry, Margoliouth, presentation and criticism

Muhammad Falih Al-Jubouri

Summary

The English orientalist David Samuel Marglioth recorded a great presence in modern Arab criticism, especially in the article "The Origins of Arabic Poetry" published in the Asian Journal in 1925, in which he dealt with the ignorance of pre-Islamic poetry. This article received great attention from Arab critics, the most prominent of whom was Taha Hussein, who He adopted the ideas of Marglioth and worked on developing and strengthening them with evidence and other topics in a book he issued a year after the article was published under the title (On Pre-Islamic Poetry.(

In this research titled (The Origins of Arabic Poetry by Maglioth, Presentation and Criticism), we review this article through a critical and objective reading to respond to what was prejudiced, and to clarify what was ambiguous, as well as what represented refutable points of view.

The research was based on two chapters. In the first, we reviewed the intention of the writer and the topics he presented, and in the second, we tried to respond to some of what was mentioned in the article with some objectivity and away from intolerance, seeking objectivity and conscious critical reading, so that the research ends with:

-The evidence and evidence that Marglioth relied on to reinforce his views were true and true in their entirety.

DOI:10.52113/uj05/023-16/1853-1868

-The critic tried to convince the recipient in different ways, employing the proofs and evidence that he gleaned from the pre-Islamic poetry itself, as he is trying to destroy this poetry through the poetry itself.

-Margliouth relied on weak narrations, and narrators of questionable credibility, to reinforce his views.

Doubts about the authenticity of some of this poetry, which we call pre-Islamic poetry, is legitimate, but it is not legitimate to deny all this poetry from that era.

DOI:10.52113/uj05/023-16/1853-1868